الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية ودوره في النهضة العلمية "الأندلس نموذجًا"

أنور محمود زناتي

أستاذ التاريخ الإسلامي

كلية التربية – جامعة عين شمس

القاهرة –جمهورية مصر العربية

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

أنور محمود زناتي، الوَقْف على المكتبات في الحضارة الإسلامية ودوره في النهضة العلمية: الأندلس نموذجًا.- دورية كان التاريخية.- العدد السادس عشر؛ يونيو ٢٠١٢. ص ٤٠ – ٤٤.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

خمسة أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ –٢٠١٢

ملخص

كان للوَقْف الإسلامي دورًا كبيرًا في خدمة الدعوة الإسلامية، فقد تنوعت الأغراض والجهات التي يوقف عليها، من مساجد، ومدارس، وأربطة، ودور لرعاية الأيتام، وأبناء السبيل، وتسبيل الماء، وحفر الآبار، والمصحات، ورعاية العلم وطلابه، وحفظ كرامة العلماء، واحتضان المؤسسات الحضارية الإنسانية، كالمساجد، ودور العلم، والمستشفيات، ومواساة الأرامل والفقراء واليتامى، وكانت الأوقاف كفيلة برعاية مجتمعات بأسرها من خلال مواردها التي لا تنضب. ويعرض هذا المقال لدور الوَقْف على المكتبات في النهضة العلمية للأندلس، حيث انتشرت المكتبات والكتب في جميع أنحاء البلاد.

مُقدّمة

تشير القراءة المتأنية لتاريخ الحضارة الإسلامية، في عصورها المختلفة إلى أن الوَقْف[١] قام بدور بارز في تطوير المجتمعات الإسلامية اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا وعمرانيًا، فقد امتدت تأثيراته لتشمل معظم أوجه الحياة بجوانبها المختلفة.[٢] ومن أهم المظاهر التي يتجلى فيها البعد العلمي للوقف هو "إنشاء المكتبات"، وفتح أبوابها في وجه طلاب العلم، وهو ما يعكس حب المسلمين للعلم، وحرصهم على نشره بين الناس، وتقديرهم البالغ لأهله وطلابه.[٣]

وفي هذه الصفحات سوف نتعرض لأهمية الوَقْف على الكتب والمكتبات ودوره في النهضة العلمية في المغرب والأندلس وكيف ارتقت الحضارة الإسلامية في تلك المنطقة من دنيا الإسلام ارتقاءً رائعًا، جعلت العلامة الفرنسي جوستاف لوبون يقول في كتابه الشهير "حضارة العرب" "أنّ العرب في الأندلس قد حقّقوا تطوّرًا ماديًّا كبيراً وقفزة علميّة نوعيّة ونجحوا في جعل الأندلس تتبوّأ صدارة الدّول الأوروبية".[٤]

الوَقْف على الكتب

يعد الوَقْف على الكتب من أفعال الخير التي يقوم بها بعض الناس تقربًا من الله تعالى فهو صدقة جارية وعلم ينتفع به. مصداقًا لقول رسول الله ﷺ "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".[٥] وكانت الأوقاف المصدر الأساسي الذي ينفق منه على المكتبات العامة وخاصة مكتبات المساجد وما يلزمها ويشمل ذلك ترميم البناء، وتزويد المكتبة بالكتب، ودفع مرتبات الموظفين.[٦] ويشير ابن الخطيب إلى الأوقاف عند حديثه عن القرى المحيطة بغرناطة[٧] ولأملاكها فيقول: "وجملة المراجع العلمية المرتفعة فيها من في الأزمنة، في العام بتقريب، ومعظمها السقى الغبيط المين العالي مايتا ألف وثنتان وستون ألف، يضاف إلى ذلك مراجع الأملاك السلطانية، ومواضع أحباس المساجد. وسبل الخير ما ينيف على ما ذكر، فيكون الجميع باحتياط خمسمائة ألف وستون ألف".[٨]

دورية إلكترونية . محكّمة . ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

وقد انتشرت مكتبات الوَقْف في الأندلس والمغرب على مَرّ التاريخ، وكان شعب الأندلس شعبًا يقبل على العلم للعلم ذاته، ومن ثَم كان علماؤهم متقنين لفنون علمهم لأنهم يسعون إليها مختارين غير مدفوعين بهدف غير التعلم، وكان الرجل ينفق ما عنده من مال حتى يتعلم، ومتى عُرف بالعلم أصبح في مقام التكريم والإجلال ويشير الناس اليه بالبنان.[٩] أما العلماء فقل مَن تجده متبحرًا في علم واحد أو علمين؛ بل فيهم من يعد من الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والأدباء والمؤرخين واللغويين.[١٠]

مكتبات الأوقاف

هي مكتبات خاصة وقفها أصحابها على طلاب العلم فصارت مكتبات عامة متاحة لجميع الدارسين وقد انتشرت تلك المكتبات في العالم الإسلامي، فقد ارتبط ظهور المكتبات العامة وانتشارها بمبدأ وقف الكتب أي حبس الكتب على كتب معينة أو طائفة معينة من القراء، ولا يجوز التصرف فيها بحال من الأحوال.[١١] وقد كثرت مكتبات الأوقاف في الأندلس، وكانت تتاح فيها استعارة الكتب للجميع، ولا أدل على ذلك من الخبر الذي أثر على أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م) "إذ كان يعيب على مشتري الكتب، ويقول: الله يرزقك عقلاً تعيش به، أنا أي كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف وقضيت حاجتي".[١٢]

وفي ذلك يقول الشاعر:

يا طالب العلم هذا بابه فتحاً فادخل تشاهد سناه لاح شمس ضحى
واشكر مجيرك من حل مرتحل إذا قرب الله من رماك ما نزحا[١٣]

من ناحية أخرى؛ فإن اسم صاحب الأحباس قد ظهر في أكثر من ترجمة، مما يشير إلى كثرة هذه الأحباس إلى درجة تحتم اعتبارها مهمة يعهد بالاشراف إليها كما هو الحال في التنظيمات الإدارية الأخرى، فيقال عن محمد بن عمروس بن العاصي المتوفي ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م، أنه انصرف إلى الأندلس وشهر بالعلم وكان موثرا وتولى الأحباس بقُرْطُبَة.[١٤] وكانت الكتب تحبس[١٥] لصالح الطلاب بقصد إبعاد الفضوليين والجاهلين الذين يظهرون بمظهر العلماء، لذا يشترط أن يكون المستفيد من طلاب العلم متحليًا بسلوكهم.[١٦]

وتعتبر مكتبات المساجد هي النواة التي قامت على أساسها كل أنواع المكتبات الأخرى، فكانت هناك مكتبة في كل مسجد واحتوت هذه المكتبات على كل أنواع الكتب دينية وثقافية، وقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد ليضمنوا حفظها وإتاحتها للطلاب والدارسين.[١٧] فخلال مدة إقامة المسلمين الطويلة في الأندلس وجد العديد من المكتبات الملحقة بالمساجد والتي يستخدمها الناس الذين ليس لديهم مكتبات خاصة، فقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد لضمان حفظها وجعلها متاحة للطلاب الدارسين وكانت هذه المكتبات تمتلئ بالكتب القيمة ذات الخط الجميل والتجليد الرائع والمصاحف وكتب الفقه وعلم الكلام.[١٨]

وكانت هناك مكتبة مسجد طُلَيطِلَةُ[١٩] حيث كان من المساجد الشهيرة وتعقد فيه حلقات الدروس التي تجتذب الطلاب المسلمين والنصارى على السواء حتى كان يقصدها طلاب نصارى من جميع أنحاء أوروبا بما فيها إنجلترا وإسكتلندا، وقد بلغت شهرة مكتبتها من حيث هي مركز للثقافة إلى أقصى البلاد النصرانية في الشمال.[٢٠] ومكتبة المسجد الجامع بقُرْطُبَة،[٢١] التي أسَّسَهَا الخليفة الأموي الحكم المستنصر سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، وقد أقام لها موظَّفِين مخصَّصِين للعناية بشئونها، وجمع فيها النسَّاخ، وعيَّن لها عددًا كبيرًا من المجلِّدين، وقد ظلَّتْ محطَّ أنظار العلماء وطلاب العلم في الأندلس[٢٢]، وقد أمها مختلف الطلاب المسلمين والمسيحيين لا من اسبانيا فقط ولكن من أنحاء أخرى من أوروبا وافريقيا وأسيا. ومكتبة مسجد الزهراء.[٢٣] ومكتبة مسجد مالقة وكان العلماء يدعمونها بما يحبسونه عليها من كتب ومنهم محمد بن لب الكناني، الذي وقف جزءً كبيرًا من مكتبته الخاصة على الجامع الكبير بمالقة،[٢٤] وكان ابن لب "ذاكرًا للعلوم القديمة معتنيًا بها عاكفًا عليها وقبل وفاته حبس داره وطائفة من كتبه على الجامع الكبير ومكتبته.[٢٥]

وقام المسجد بدور المدرسة ولذلك وجد به الكثير من الكتب القيمة وإن كانت الصفة الغالبة على هذه الكتب هي كتب الفقه وعلم الكلام، بينما تقل فيها كتب الشعر غير الديني وكتب الفلسفة.[٢٦] وتذكر المستشرقة سيجريد هونكة أن الحكام أنشئوا في كل حي دارًا للكتب وزودوها بمئات الألوف من الكتب وجعلوها في متناول الجميع وفي مختلف فروع المعرفة، وكانت مجموعاتها ما بين عشرة آلاف ومائة ألف مجلد.[٢٧] كمكتبة إشبِيلِيّة العامة أيام الراضي بن المعتمد.[٢٨]

وكان الإنفاق على المكتبات بصفة عامَّة من ريع الأوقاف التي تُوقَف عليها؛ حيث كانت الدولة تُخَصِّصُ لها أوقافًا مُعَيَّنَة، ويُقَدِّمُ لها بعض الأغنياء وأهل الخير أوقافًا تساعد في الإنفاق عليها.[٢٩] وحظى الأندلس في مختلف عصوره بالمكتبات الوَقْفية والتي انتشرت في المدن الرئيسية مثل قُرْطُبَة وإشبِيلِيّة وغرناطة... الخ، وكان لها أكبر الأثر في نشر الثقافة الاسلامية واختفاء الأمية نهائيًا من الأندلس.

وعلى وجه العموم؛ كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة. وكان نصيب قُرْطُبَة وحدها عشرين مكتبة فيها عشرات الآلاف من الكتب.[٣٠] أما المقري[٣١] صاحب نفح الطيب[٣٢] فيذكر أنه وجد بقرطبة وحدها إبان عزها خمس وثلاثون مكتبة منفتحة الأبواب لجميع الناس، ولم تنفرد قرطبة وحدها بالمكتبات العامة، فقد وصلت معلومات عن خزانة كتب عامة في إشبِيلِيّة[٣٣] أيام الراضي بن المعتمد (ت ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١م) اطلع على بعض كتبها العالم الأندلسي محمد بن مزين، [٣٤] وعندما تقلص الحكم الاسلامي في غرناطة الأندلس الصغرى وجد بها سبعون مكتبة من المكتبات العامة.[٣٥]

دورية إلكترونية . محكمة . ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الدور الحضاري

وقد ساهمت تلك المكتبات بدور فعال في عملية الاتصال بين العلماء، حيث عملت على إمداد المؤلفين الأندلسيين بمصادر للمعلومات كان لها تأثير على مؤلفاتهم فيما بعد. كما وفرت تلك المكتبات الكتب النادرة والموجودة في المشرق سواء توفرت هذه الكتب في مكتبات خاصة، أو شبه عامة، أو عامة، حتى أتاحت للمؤلفين وإن لم يسافروا إلى خارج الأندلس أن يحصلوا على المعلومات التي يريدونها من داخل تلك المكتبات.[٣٦] ونتيجة لتلك الأوقاف على الكتب في الأندلس نشأت حضارة شامخة ارتكزت على مجموعة من الركائز من أبرزها توفير الكتب للعامة فانتشرت المكتبات في طول البلاد وعرضها، وتعلق الأندلسيون بالكتب تعلقاً ملفتاً، وانتشرت موجة حب الكتب والقراءة بين جميع طبقات المجتمع الأندلسي بلا استثناء.

كما انتشرت ظاهرة وقف الكتب في الأندلس والمغرب على مر العصور، وجرت العادة أن تسلم للخزانات العامة، لتوضع تحت تصرف طلاب العلم والعلماء. وبفضل وقف الكتب والمكتبات انتشرت الثقافة في العالم الإسلامي وشملت جميع طبقات الناس، فقد كان نظام المكتبات يشجع الناس على الإقبال عليها لما يجدونه من العناية والنفقة السخية والإقامة المريحة، فينكبون على القراءة والنسخ والمطالعة، لايزعجهم هَمٌّ، ولايشغلهم خوف، كل هذا بفضل الخير العميم الذي فاض على المجتمع الإسلامي من مؤسسة الوَقْف العامرة.[٣٧]

كما ساهم الوَقْف على الكتب بطبيعة الحال في تنشيط حركة التأليف في الأندلس، حيث تفرغ عدد كبير من العلماء في مختلف المجالات للتأليف نتيجة توفر المكتبات الوَقْفية ووجود عدد لا بأس به في كل مدينة أندلسية. كما كانت تلك المكتبات تفتح أبواب المعرفة أمام الجميع، وأتاحت لهم فرصة الاطلاع على كتب وعلوم جديدة لم تكن متاحة لعدد كبير من الناس ولعبت دورًا في تثقيف الناس وجعلت من بينهم المفكرين والعلماء والأدباء، وأمدتهم بما يحتاجون اليه في تأليف كتبهم.

ولم تكن تلك المكتبات مجرد خزائن كتب، وإنما كانت مؤسسات تعليمية وتربوية أيضًا، فقد كانت أشبه ما تكون بالمدارس والجامعات، وبالتالي أسهمت نصيب وافر في العملية التعليمية فكانت مكانًا لعقد حلقات الدرس والمحاورات والمناقشات بين العلماء وأهل العلم، مما يتيح الفرصة للطلاب لعرض الأسئلة والاستفسارات وتلقي الإجابة عنها. وكان كثير من الأهالي يحبسون كثيرًا من أراضيهم وبيوتهم أو بعض موارد دخلهم على المساجد مثلما فعل عبد الملك بن حبيب السلمي (٢٣٨/ ٨٥٢م) الذي كان له أرض وزيتون بقرية بيرة وهي إحدى قرى غرناطة وكان بها مسجد قراءته وحبس جميع ذلك على مسجد قُرْطُبَة[٣٨] ومكتبته بطبيعة الحال. وأمثلة وقف الكتب في الأندلس كثيرة منها أن العالم أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤ / ١٠٨١م) أوقف كل كتبه على مسجد ببيرة عند أبي الحكم عبد الرحمن بن الحاج اللخمي (ت ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤م) خطيب المسجد القائم بالإشراف على مكتبة المسجد.[٣٩] وهناك العالم ابن مروان الباجي الذي وقف كل كتبه على مكتبة المسجد الجامع بإشبيلية. وكذلك وقف محمد بن محمد بن لب الكناني طائفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقة.[٤٠] كما كان الوَقْف الطريقة التي حصلت بها الجامعات العظيمة مثل جامعتي قرطبة وطُلَيطِلَةُ[٤١] على مكتبتهما.[٤٢]

وكانت الكتب الموقوفة منهلاً صافيًا لطلاب العلم، وكان بعض العلماء يحبسون كتبهم عند أشخاص يثقون فيهم لضمان الحفاظ عليها وعدم تبديدها، وحتى يستفيد منها طلبة العلم بعد وفاة حابسها، ومنهم هارون بن سالم (ت ٢٣٨ هـ/ ٨٥٢م) الذي وقف كتبه عند أحمد بن خالد،[٤٣] وقاسم بن سعدان بن عبد الوارث (ت ٣٤٧ هـ/ ٩٥٧م) الذي حبس كتبه عند محمد بن أبي دليم.[٤٤] وقام الفقيه محمد بن عيسى بن اسحق التجيبي (ت ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م) بحبس كتبه على طلاب العلم بالعدوة.[٤٥] ووقف أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي (ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م) كتبه على أهل العلم فانتفع بها الناس،[٤٦] كما قام محمد بن علي بن ياسر الأنصاري الجياني (ت ٥٦٣ هـ/ ١١٦٨م) بوقف كتبه على أصحاب الحديث،[٤٧] ومحمد بن محمد بن محارب الصريحي المالقي (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩م) فقد عهد بربع كبير على طلبة العلم وحبس عليهم كتبه.[٤٨]

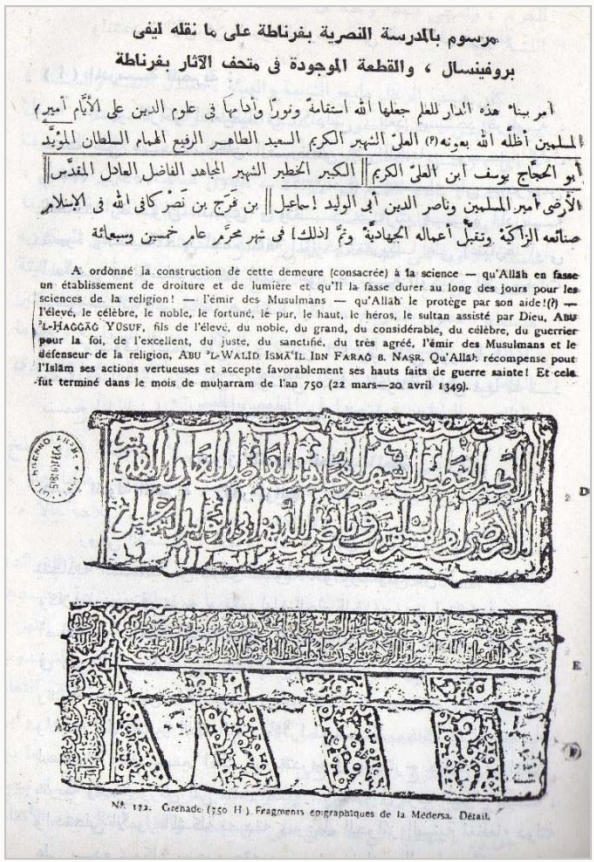
مرسوم بالمدرسة النصرية بغرناطة على ما نقله ليفى بروفينسال ، والقطعة الموجودة فى متحف الآثار بغرناطة

أمر ببناء هذه الدار للعلم جعلها الله استقامة ونورًا وأدامها فى علوم الدين على الأيام أمير المسلمين أظلّه الله بعونه(؟) العلىّ الشهير الكريم السعيد الطاهر الرفيع الهمام السلطان المؤيّد أبو الحجّاج يوسف ابن العلىّ الكريم || الكبير الخطير الشهير المجاهد الفاضل العادل المقدّس || الأرضى أمير المسلمين وناصر الدين أبى الوليد اسماعيل || بن فرج بن نصر كافى الله فى الإسلام صنائعه الزاكية وتقبّل أعماله الجهادية وذلك فى شهر محرّم عام خمسين وسبعمائة

A. ordonné la construction de cette demeure (consacrée) à la science — qu'Allah en fasse un établissement de droiture et de lumière et qu'Il la fasse durer au long des jours pour les sciences de la religion! — l'émir des Musulmans — qu'Allah le protège par son aide!(?) — l'élevé, le célèbre, le noble, le fortuné, le pur, le haut, le héros, le sultan assisté par Dieu, ABU 'L-HAGGAG YUSUF, fils de l'élevé, du noble, du grand, du considérable, du célèbre, du guerrier pour la foi, de l'excellent, du juste, du sanctifié, du très agréé, l'émir des Musulmans et le défenseur de la religion, ABU 'L-WALID ISMA'IL IBN FARAG B. NASR. Qu'Allah récompense pour l'Islâm ses actions vertueuses et accepte favorablement ses hauts faits de guerre sainte! Et cela fut terminé dans le mois de muharram de l'an 750 (22 mars—20 avril 1349).

N° 122. Grenade (750 H.). Fragments epigraphiques de la Medersa. Détail.

نقلاً عن: محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٢، ص ٣٨٩

دورية إلكترونية . محكمة . ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

ونتيجة للوقف على الكتب كثر النساخ ولم يقتصر هذا الأمر على الرجال بل تجاوزه إلى النساء، فقد حكي ابن فياض أنه كان يوجد بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة ينسخن المصاحف بالخط الكوفي.(٤٩)

خاتمة

تعتبر المكتبات بصفة عامة، ومكتبات الوَقْف بصفة خاصة من أهم دعائم الحضارة، فهي تقوم بحفظ وصيانة كنوز المعرفة وتنظيمها وإتاحتها للجميع، كما أنها تعطي صورة صادقة لمدى اهتمام الشعب الأندلسي بالفكر والعلم والعلماء. والوَقْف على المكتبات، يعكس حب المسلمين للعلم، وحرصهم على نشره بين الناس، وتقديرهم البالغ لأهله وطلابه، وبفضل هذا الحب الذي غرسه الإسلام في أهله أقبل الناس على وقف الكتب، وإنشاء المكتبات العامة والخاصة، فقد كان وقف المكتبات والكتب كان من مفاخر الحضارة الإسلامية ومآثرها التي فاقت بها سائر الحضارات.(٥٠)

الهوامش:

(*) قدمت هذه الورقة في مؤتمر "**أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية**"، المنعقد في جامعة الشارقة (الإمارات) خلال الفترة ٦ - ٧ جمادى الثانية ١٤٣٢هـ/ ٩ - ١٠ مايو (أيار) ٢٠١١م.

(١) **الوقف في اللغة**: هو الحبس والمنع، وهو مصدر وقف الثلاثي، يقال وقفت الدار، أي حبستها، ولا يقال أوقفتها، لأنها لغة رديئة، ويقال للشيء الموقوف: وقف من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول. والوقف في الاصطلاح الشرعي فقد تعددت عبارات الفقهاء في تعريفه بناء على اختلاف آرائهم في لزومه، وتأبيده، وملكيته. عرفه الإمام أبو حنيفة بقوله: "هو حبس العين على حكم ملك الواقف، وتسجيل منفعتها على جهة من جهات البر، وعبارة الإمام هنا تدل على أنه يرى أن ملكية العين الموقوفة تبقى في يد الواقف. وعرفه بعض المالكية بقوله: هو جعل المالك منفعة مملوكه، ولو كان مملوكًا بأجرة، أو جعل غلته كدراهم، لمستحق، بصيغة مدة ما يراه المحبس". ويقسم الفقهاء الوقف إلى قسمين الأول: وقف خيري، وهو الذي يقصد به الواقف التصدق على وجوه البر، سواء أكان على أشخاص معينين كالفقراء والمساكين والعجزة، أم كان على جهة من جهات البر العامة، كالمساجد والمستشفيات والمدارس وغيرها، مما ينعكس نفعه على المجتمع ، راجع:
علي جمعة محمد: **الوقف وأثره التنموي**، أبحاث ندوة "نحو دور تنموي للوقف"، صفحة ٩١، وأحمد أبو زيد: **نظام الوقف الإسلامي: تطوير أساليب العمل وتحليل نتائج بعض الدراسات الحديثة**، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، الرباط، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠.

(٢) راجع: محمد عبد القادر الفقي: **دور الوقف الإسلامي في التنمية**، مجلة الوعي الإسلامي، عدد رقم ٥٣٢، بتاريخ 03-09-2010.

(٣) راجع أحمد أبوزيد: **نظام الوقف الإسلامي**، مرجع سابق.

(٤) راجع جوستاف لوبون: **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٦.

(٥) صحيح مسلم، **كتاب الوصية**، ج١١، ص ٨٥.

(٦) أحمد شلبي: **تاريخ التربية الاسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣، ص ١٧٨.

(٧) **غَرْناطة** (Granada): بفتح أوله وسكون ثانيه ثم ونون بعد الألف طاء مهملة. مدينة في جنوب أسبانيا عاصمة بني زيرى من ملوك الطوائف وعاصمة بني الأحمر، استطاع الأسبان أن يوقعوا الفتنة بين خلفاء علي بن الحسن ولما تم لهم ذلك حاصروا غَرْناطة وأرسل فرديناند ملك أسبانيا رسله إلى قادة غَرْناطة المسلمة العربية بالاستسلام فرفضوا فنزل جيش أسباني مكون من ٢٥ ألف جندي واتجهوا صوب المزارع والحدائق وخربوها عن آخرها حتى لا يجد المسلمون ما يأكلونه، ثم جهزت ملكة أسبانيا ايزبيلا جيشا آخر من ٥٠ ألف مقاتل لقتال المسلمين في القلاع والحصون الباقية وبعد قتال مرير استسلمت المدينة وسقطت في أيدي الأسبان، راجع: ياقوت: معجم، ج٤، ص ١٩٥.

(٨) ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج١، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١، ص ١٣٢.

(٩) مصطفى الشكعة: **الأدب الأندلسي**، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٣، ص ٧١.

(١٠) مصطفى صادق الرافعي: **تاريخ آداب العرب**. ج٣، مطبعة الاستقامة، ط١، ١٩٤٠، ص ٣٣١.

(١١) شعبان عبد العزيز خليفة: **الكتب والمكتبات في العصور الوسطى**، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ص ٣٠٩.

(١٢) المقري: **نفح الطيب**، تحقيق إحسان عباس ط ١. دار صادر بيروت، ١٩٦٨، ج٧، ص ٣٧٦ ، ٣٧٧.

(١٣) ابن حجر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣، ج٤، ص ٣٠٩.

(١٤) محمد عبد الحميد عيسى: **تاريخ التعليم في الأندلس**، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٢، ص ٢٧٨.

دورية إلكترونية . محكمة . ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

(١٥) **تحبيس**: هو اللفظ المستخدم في الدول الإسلامية التي ساد فيها المذهب المالكي مثل الأندلس، ويقصد به علماء المالكية: الوقف راجع، أحمد شوقي بنين: **دراسات في علم المخطوطات**، ص ٤٣ ، ٤٤.

(١٦) يوسف العش: **دور الكتب العامة وشبه العامة**، ترجمة: نزار أباظة ومحمد صباغ، درار الفكر، بيروت، ١٩٩١، ص ١٩٤.

(١٧) محمد محمد أمان: **الكتب الإسلامية**، مكتبة فهد الوطنية، الرياض ١٩٩٠، ص ٥٩.

(١٨) رضا سعيد مقبل: **تاريخ المكتبات الإسلامية في الأندلس**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب-جامعة المنوفية، ٢٠٠١، ص ٨٩.

(١٩) شعبان عبد العزيز خليفة: **الكتب والمكتبات في العصور الوسطى**، مرجع سابق، ص ٣٤٩.

(٢٠) دي بور: **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ترجمة وتحقيق: محمد عبد الوهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٣٨، ص ٢٨٣.

(٢١) خوليان ريبيرا: **التربية الإسلامية في الأندلس**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ١٩٩٤، ص ٢٠٧.

(٢٢) ابن الأَبَّار: **التكملة لكتاب الصلة**، ١/١٩٠.

(٢٣) أحمد فكري: **قُرْطُبَة في العصر الإسلامي: تاريخ وحضارة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ١٢٣.

(٢٤) **مَالَقَةُ** (Malaga): بفتح اللام والقاف كلمة عجمية. مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رَيّة سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء وأَلمريّة. قال الحُمَيْدي: هي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق، والقولان متقاربان وأصل وضعها قديم ثم عمرت بعد وكثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عمارتها حتى صارت أرشذونة وغيرها من بلدان هذه الكُوَرة كالبادية لها أي الرستاق، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم. منهم عزيز بن محمد اللخمي المالقي وسليمان المَعافري المالقي. راجع: ياقوت: معجم، ج٥، ص ٤٣، أبو بكر الزهري: **كتاب الجغرافية**، ص ٩٣.

(٢٥) ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ص ٨٠.

(٢٦) خوليان ريبيرا: **التربية الإسلامية في الأندلس**، ص ١٨٨.

(٢٧) سيجريد هونكه: **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة فاروق بيضون، ط٧، دار الآفاق الجديدة بيروت، ١٩٨٢، ص ٤٤٩ - ٤٥٠.

(٢٨) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس**، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة ١٩٨٦، ص ٣٨.

(٢٩) محمد حسين محاسنة: **أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين**، دار الكتاب الجامعي، العين. ٢٠٠١ ص١٦١.

(٣٠) سيجريد هونكه: **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة فاروق بيضون، ط٧، دار الآفاق الجديدة بيروت، ١٩٨٢، ص ٤٩٩.

(٣١) ولد أحمد بن محمد بن أحمد المقرى القرشى المكنى بأبى العباس والملقب بشهاب الدين سنة ٩٨٦ بمدينة تلمسان وأصل أسرته من قرية مقرة بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة؛ نشا بتلمسان وطلب العلم فيها وكانت م اهم شيوخة التلمسانين عمة الشيخ سعيد المقرى. وهو واحد من أعلام القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، سطعت فضيلته العلمية في تلمسان وفاس بالمغرب العربي، وذاعت في مصر والحجاز وبلاد الشَّام بالمشرق العربي إبان حكم العثمانيين الأتراك. وقد شهد له معاصروه بالإمامة والفضل، في الفقه وأصوله، وفي الحديث وعلوم القرآن، وفي علوم العربية.

(٣٢) كان اسم الكتاب أولاً "عرف الطيب، في التعريف، بالوزير ابن الخطيب" فلما ألحق به أخبار الأندلس، وأفاض فيها، اتخذ له هذا الاسم الجديد. جعل المؤلف كتابه قسمين كبيرين: يشمل الأول رحلة المؤلف، ووصف جزيرة الأندلس وما تحويه من المحاسن، وفتح المسلمين لها، ومن تعاقب عليها من الأمراء والخلفاء إلى ملوك الطوائف، ووصف قُرْطُبَة ومحاسنها، وتراجم من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق، وفيهم جماعة من النساء، وذكر مذاهب الأندلسيين وسائر أحوالهم إلى خروجها من أيدي المسلمين. ويشتمل القسم الثاني على ترجمة مفصلة لـ "لسان الدين بن الخطيب" وأقواله، وأشعاره، ومشايخه، وغير ذلك. وفي كل باب من أبواب الكتاب يحشد "المقرى" مجموعة هائلة من المعلومات التاريخية والجغرافية والأدبية والاجتماعية، منقولة من كتب مختلفة، يعتبر أكثرها في حكم المفقود وما يجعل للكتاب قيمة لا تقدر، ويصفه في طليعة المراجع الأولى لتاريخ إسبانيا الإسلامية.

(٣٣) **إشبِيلِيَة** (Sevilla): بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة. م، وتقع مدينة إشبِيلِيَة في الأندلس، كانت على جانب من الأهمية أيام الفينيقيين، اتخذها الرومان عاصمة لمقاطعة بيتيكا، وبنو بجوارها مدينة اتاليكا، تتصل بالمحيط الأطلنطي بنهر الوادي الكبير، فتح المسلمون إشبِيلِيَة في شعبان ٩٤ هـ/ ٧١٣م بقيادة موسى بن نصير بعد حصار دام شهر، وأقام عليها عيسى بن عبد الله الطويل وهو أول ولاتها من المسلمين، راجع: ياقوت: معجم، ج١، ص ١٩٥.

(٣٤) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس**، ص ٣٨.

(٣٥) جرجي زيدان: **تاريخ التمدن الإسلامي**، ج٣ ، دار الهلال، ١٩٦٨، ص ٢٣٠.

(٣٦) شرين السيد عبده: **الاتصال الوثائقي في الأندلس**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص ١٥٨.

(٣٧) راجع أحمد أبو زيد: **نظام الوقف الإسلامي**، مرجع سابق.

(٣٨) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج٣، ص ٥٤٨.

(٣٩) شرين السيد عبده: **الاتصال الوثائقي في الأندلس**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص ١٥٧.

(٤٠) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج٣، ص ٨٠ – ٨١.

(٤١) **طُلَيطِلَةُ**: كانت عاصمة الأندلس قبل دخول طار، وهي: مدينة قديمة في أسبانيا تقع في وسط شبه جزيرة أيبريا على مسافة ٩١ ك جنوبي غربي مدريد. كانت مزدهرة أيام الرومان وتسمى توليتم (Toletum) ثم صارت حاضرة الدولة القُوْطِيَّة. فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير سنة ٩٢ هـ (٧١٣م) وجعلوها قاعدة الثغر الأدنى للدولة الإسلامية وحينما سقطت دولة الخلافة الأُمَوية وانقسمت الأندلس إلى طوائف كانت طُلَيطِلَةُ مستقلة يحكمها بنو ذي النون سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٥م) وهم من زعماء البربر وسقطت طُلَيطِلَةُ في يد ملك (قَشْتَالَة) (الفونسو السادس) في المحرم سنة ٤٨٧ هـ ١٠٨٥م وينتسب إليها كثير من العلماء منهم عيسى بن دينار الغافقي الطليطلي ومحمد بن عبدالله بن عيشون الطليطلي وصاعد الأندلسي صاحب كتاب طبقات الأمم. راجع، ياقوت: **معجم البلدان** (٤ / ٣٩)، أبو بكر الزهري: **كتاب الجغرافية**، ص ٨٣، ويوسف بني ياسين: **بلدان الأندلس**، ص ٣٩١.

(٤٢) محمد محمد أمان: **الكتب الإسلامية**، ص ٥٩.

(٤٣) القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، مجلد ٢، ج٣، ص ٤٨.

(٤٤) ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص ٣٦٧.

(٤٥) ابن بشكوال: **الصلة**، ص ٥٥٨.

(٤٦) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، مج ٨، ص ٥١٨، المقري: **نفح الطيب**.

(٤٧) المقري: **نفح الطيب**: ج٢، ص ١٥٧.

(٤٨) ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج٣، ص ٧٩.

(٤٩) المراكشي: **المعجب**، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الاستقامة، القاهرة ١٩٤٩، ص ٣٧٢.

(٥٠) للمزيد من التفاصيل: راجع أحمد أبو زيد: **نظام الوقف الإسلامي**، مرجع سابق.

دورية إلكترونية . محكمة . ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449